العلاقة بين الله تعالى وأنبيائه عليهم السّلام كما يصوّرها العهد القديم

طالبة الدكتوراه: سمية شباطة
جامعة الجزائر ١\كلية العلوم الإسلامية

مقدّمة

يعدّ كلاًّ من موضوع «الإلهيّات» و «النّبوّات» من المواضيع المحوريّة في الفكر العقدي لدى كلّ الدّيانات السّماويّة؛ ذلك أنّ الأوّل يبيّن حقيقة الإله المعبود وما يتّصف به، أمّا الثّاني فيعنى ببيان معنى النّبوّة وشروطها ودلائلها، ووظيفتها، وقد تعدّدت الدّراسات المتعلّقة بكلا الموضوعين بشكل منفصل عن الآخر، بينما حاولت الرّبط بينهما من خلال هذه الدّراسة المستقاة من العهد القديم، وذلك ببيان العلاقة بين الله تعالى وأنبيائه-عليهم السّلام- من خلاله، والّتي سوف تعرّفنا على مدى العناية الإلهية الموجّهة للأنبياء- عليهم السّلام -، كما تعرّفنا عن كيفيّة تعاملهم- عليهم السّلام - مع الله تعالى، وعليه تكون إشكالية البحث هي:

ما هي حقيقة العلاقة بين الله تعالى وأنبيائه- عليهم السّلام - من خلال العهد القديم؟

أهميّة البحث

لعلّ أهمّيّة البحث تكمن في المساهمة في إثراء الدّراسات الخاصّة بالدّيانات الأخرى، خاصّة السّماوية منها قصد بيان مواضع الخلل والشّطط فيها، وبذلك تتجلّى مكانة الإسلام وصحّة وصدق كتابه؛ القرآن الكريم، فالأمور إنّما تتّضح ببيان أضدادها.

أسباب اختيار البحث

تتلخّص أسباب اختيار البحث في ضرورة الانتصار لله تعالى، ولأنبيائه- عليهم السّلام -، في خضمّ الصّراع الفكري العقدي بين مختلف الدّيانات، الّذي يزداد احتداما يوما بعد آخر، وذلك بتوضيح الضّلالات الّتي يحتويها العهد القديم فيما يتعلّق بالله تعالى وبأنبيائه- عليهم السّلام-، وكذا ببيان العلاقة بينهما.

أهداف البحث

- بيان تهافت الفكر العقدي اليهودي المستمدّ من العهد القديم، من خلال بيان مصادمته للعقل السّليم.
- التّأكيد على تحريف العهد القديم، وعلى أنّه يحمل بذور فنائه بين طيّاته.
- إظهار إعجاز القرآن الكريم، من خلال ذكره لحقيقة تحريف اليهود لكتبهم، ومعلوم أنّه ﷺ ما كان عارفا ولا حتّى قارئا لكتبهم.

المنهج المتّبع

قد اتّبعت في هذه الدّراسة المنهج الاستقرائي ؛وذلك بتتبّع الأدلّة المتعلّقة بالموضوع والمتواجدة في العهد القديم، كما اعتمدت المنهج التّحليلي لشرحها ومحاولة فهمها وتوظيفها فيما يخدم الدّراسة.

خطّة البحث

قد حاولت هيكلة هذا البحث في خطّة تكوّنت من ثلاثة مطالب مسبوقة بمقدّمة، ومختومة بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج المتوصل إليها، وهي كالآتي:

مقدّمة

مطلب تمهيدي: حقيقة الألوهية والنّبوّة في العهد القديم

المطلب الأوّل: العلاقة بين الله تعالى وأنبيائه–عليهم السّلام–كما يصوّرها العهد القديم

أوّلا: نقض معاني الرّبوبية في علاقة الله تعالى بأنبيائه–عليهم السلام–

مطلب تمهيدي: حقيقة الألوهية والنّبوّة في العهد القديم

إنّ النّاظر في العهد القديم، يتبيّن له بشكل جليّ أنّ معالم الألوهيّة الحقّة والنّبوّة الصّحيحة، تكاد تنمحي وتزول، لتقوم مقامها اعتقادات الكتبة، وتحريفاتهم، الّتي بدّلت كلام الله تعالى، وبدّدت معانيه؛ حيث قال تعالى: ﴿ **مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا** ﴾ [النّساء:46]، وقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ** ﴾ [المائدة:13]؛ فالملاحظ من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أنّه من بين الصّفات الّتي أثبتها الله تعالى لليهود تحريفهم الكلم عن مواضعه؛ فقوله تعالى: ﴿ **يُحَرِّفُونَ** ﴾؛ إمّا مشتقّ من «التَّحْرِيفِ» وهو «الميل بالشّيء إلى الحرف، وهو جانب الشّيء وحافّته،... وهو هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى، وصريحه إلى التّأويل الباطل»[(1)]، وإمّا أنّه مشتق من «من الْحَرْفِ وهو الكلمة والكتابة، فيكون مرادا به تغيير كلمات التّوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشّهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال، والظّاهر أنّ كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم»[(2)]، وقد أكّد الباحثون في مجال الأديان بأنّ العهد القديم يتكوّن من أسفار كتبت «على

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (الدار التونسية للنشر - تونس، ط: 1984 هـ)، 5/ 75.

(2) المرجع نفسه، 5/ 75.

مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتمادا على التّراث المنقول شفويا، وقد صُحّحت وأكملت أكثريّة هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت، أو بسبب ضرورات خاصّة، وفي عصور متباعدة أحيانا»(1)، ممّا أدّى إلى تلاشي شرائعهم، وفساد عقائدهم؛ ففي البداية كان اليهود يدينون بالتّوحيد، وكانت الذّات الإلهيّة تتّصف بصفات الكمال والجمال والجلال؛ حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 130 – 133]، كما قال تعالى على لسان يوسف-عليه السلام-: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 37 – 38]، غير أنّ هذا التّوحيد الّذي دعا إليه أنبياء بني إسرائيل، ما استطاع اليهود الثّبات عليه؛ فقد أشربوا في قلوبهم الوثنيّة، وسرعان ما ارتدّوا على أعقابهم، ودليل ذلك أنّ التّوراة والتّلمود قد صوّرتا «ذلك الإله في صورة «يهوا» إله شعب إسرائيل، هي صورة بعيدة عن الوحدانية، يشترك فيها معه آلهة أخرى، تعبدها الأمم التي جاورت الإسرائيليين في أوطان نشأتهم، وأوطان هجرتهم، وكان تصوّرهم لهذا الإله في صورة مجسّمة، ووصفوه بكثير من صفات النّقص والضّعف والجهل.» (2)

(1) دراسة في عقائد ومصادر الأديان السّماويّة؛ اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، والاديان الوضعيّة؛ الهندوسيّة والجينيّة والبوذية: طارق خليل السّعدي، (دار العلوم العربيّة للطّباعة: بيروت-لبنان، ط:1: 1425ه-2005م)، ص: 56.

(2) دراسة في عقائد ومصادر الأديان السّماويّة؛ اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، والأديان الوضعيّة؛ الهندوسيّة والجينيّة والبوذية: طارق خليل السّعدي، (دار العلوم العربيّة للطّباعة: بيروت-لبنان، ط:1: 1425ه-2005م)، ص:56.

كما أنّ فكرة الألوهيّة عند اليهود قد تطوّرت وتبدّلت مع مرور الزّمن؛ منذ نشأتهم حتّى ميلاد المسيح -عليه السلام-؛ حيث أنّهم ضيّقوا أفق العبادة لهذا المعبود؛ الإله «يهوا» حسب ما يأتي[1]:

1-ابتداء كان شعب «يهوا» المختار عامّا شاملا لقوم إبراهيم -عليه السلام-.

2-ثمّ بعد مضي قرون من الزّمن، صار محصورا على قوم يعقوب بن إسحاق-عليهما السّلام-. 3-ثمّ صار قاصرا على قوم موسى-عليه السلام-.

4-ثمّ اقتصر بعد ذلك على أبناء داود-عليه السلام-وعلى من يدينون بالولاء لعرشه.

أما بالنّسبة للنّبوّة فقد كانت قائمة في الأساس عند اليهود -والمسيحيين -على الخوارق والمعجزات، التي تثبت صلة النّبي المبعوث بالإله الباعث؛ ولهذا كانوا يدعون النّبي بالرّائي، أو النّاظر، أو رجل الله [2]، ولم يطلقوا عليه اسم «النّبي» إلّا بعد تعرّفهم على أربعة من أنبياء العرب[3]الّذين ذكروا في التّوراة[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما سنبيّنه من علاقة تربط بين الله-عزّ وجلّ-وبين أنبيائه-عليهم السّلام-من خلال العهد القديم ؛ يمثّل دليلا إضافيا على أنّ التّحريف قد مسّ الكتاب المقدّس، وأنّه يحمل بين طيّاته وصفحاته بذور فنائه، لمن كان له عقل يعقل به، أو فكر يهتدي به.

(1) انظر المرجع السابق ،ص:99.

(2) انظر محمّد نبيّ الإسلام في التّوراة والإنجيل والقرآن: محمّد عزّت، ص: 104-105.

(3) أولئك الأنبياء هم: ملكي صادق، أيوب، بلعام، شعيب.

(4) انظر عقائد أهل الكتاب؛ دراسة في نصوص العهدين: أحمد مختار رمزي، (دار الفتح لدّراسات والنّشر: عمان-الأردن، ط:1428ه-2008م)، ص:28.

المطلب الأوّل: العلاقة بين الله تعالى وأنبيائه-عليهم السّلام-كما يصوّرها العهد القديم

إنّ المتتبّع لما ورد في «العهد القديم» من مواقف، وحوارات، جرت بين الله تعالى، وبين أنبيائه-عليهم السّلام-يتبيّن له بكلّ يسر، أنّ العلاقة الرّابطة بينهما تهزّ مقام الرّبوبية والألوهية، وتقدح في صفات الله تعالى؛ إذ تنسب إليه ما لا يليق بجلاله في ذاته، وتلحق به ما لا يناسب كمال صفاته؛ فمن المعلوم أنّ الرّبوبية تعني القيام والتّكفل بمصالح المخلوقات(1)، وعلى رأسهم الإنس، وتتعهّدهم بالعناية والتّوجيه إلى ما فيه الخير والصّلاح، غير أنّ ما يورده العهد القديم، يضاد كلّ هذه المعاني ويهدمها؛ فبدل أن يأمر الرّب رسله بالمعروف والإحسان، تجده-تعالى عن ذلك علوا كبيرا-يأمر بالفحشاء و اقتراف المنكرات، وبدل أن يوجّههم إلى سبل الهدى والرّشاد، تجده- تعالى عن ذلك علوا كبيرا-يسايرهم عند مجانبتهم الصّواب، وعند مخالفتهم ما فيه الخير والصّلاح.

أمّا الألوهية، فتقتضي أن يكون تعالى الأحد المتفرّد بصفات الكمال والجمال والجلال، المستحقّ للعبادة والخضوع والإذعان، غير أنّ العهد القديم، يجعل الله -تعالى عن ذلك علوا كبيرا-يتنازل عن تفرّده بالألوهية لبعض أنبيائه، وينسبهم إليه نسبة الأبناء إلى أبيهم، ثمّ يلصق به-تعالى عن ذلك علوا كبيرا- صفات القبح والنّقص والضّعف، ويجرّده من صفات الكمال والجمال والجلال عند تعامله مع أنبيائه-عليهم السّلام-وبيان ذلك فيما يأتي:

---

(1) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة-مصر)، 3/ 29.

أوّلا: نقض معاني الرّبوبية في علاقة الله تعالى بأنبيائه-عليهم السلام-

يتجلّى نقض معاني الرّبوبيّة عند تعامله -تعالى عن ذلك علوّا كبيرا-مع أنبيائه-عليهم السّلام - من خلال:

1-**أمر الأنبياء -عليهم السّلام - القيام بأعمال الفحشاء والمنكر:** وكان من المفترض أن يأمرهم الله تعالى بالمعروف، وبمحاسن الأعمال، ومن تلك الأعمال المنكرة الّتي يذكر الكتاب المقدّس أنّ الرّب أمر بها أنبياءه-عليهم السّلام- أذكر:

أ-الرّب يأمر نبيّه أشعياء بخلع ملابسه و المشي عريانا أمام النّاس؛ حيث ورد في سفر أشعياء: [20-2][1]: «تكلّم الرّب على لسان أشعياء بن آموص قائلا: اذهب واخلع المسوح على حقويك، وانزع حذاءك من قدميك، ففعل كذلك، ومشى عاريا، حافيا، وقال الرّب: كما مشى عبدي أشعياء عاريا حافيا ثلاث سنوات، وآية على مصر وعلى كوش»[2].

ب- الرّب يأمر نبيّه حزقيال أن يأكل من الغائط -أكرمكم الله تعالى - والغريب أنّه هو من يأنف ذلك ويرفضه؛ فقد ورد في سفر حزقيال: [4-12]: «أنّ الرّب قال لنبيّه حزقيال: وتأكل كعكا من الشّعير على الخرء، الّذي يخرج من الإنسان؛ تخبزه أمام عيونهم، وقال الرّب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النّجس بين الأمم الّذين أطردهم إليهم، فقلت: آه يا سيّدي الرّب، ها نفسي لم تتنجّس، ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس، فقال لي: أنظر قد جعلت لك خثى البقر بدل خرء الإنسان، فتصنع خبزك عليه»[3].

(1) الكتاب المقدّس: جمعيات الكتاب المقدّس في الشّرق الأدنى، (ساحة النجمة: بيروت-لبنان، ط:1971).

(2) مقال: ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الله تعالى؟ نقلا عن موقع: *www.hurras.org.*

(3) المرجع نفسه.

ج- الرّب يأمر نبيّه يوشع بالزّنا والزّواج من عاهرة[1]: ورد في سفر هوشع:3: «وقال الرّب لهوشع: اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة، صاحبة وزانيّة، كمحبّة الرّب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزّبيب» وقال أيضا: «أوّل ما كلّم الرّب هوشع، قال لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا، لأنّ الأرض قد زنت زنا تاركة الرّب» [هوشع:1-2].

د- الرّب يأمر بسبّ نبيّه داود- عليه السلام-: حيث إنّ كاتب سفر صموئيل الثّاني [2- 16:5] ينسب للرّب -تعالى عن ذلك علوا كبير- أنّه يأمر شخصا بسبّ نبيّه داود؛ حيث ورد ما يأتي: «وعندما وصل داود إلى باحوريم، خرج رجل من هناك ينتمي إلى قبيلة شاول ، يدعى شمعي بن جير، وراح يكيل له الشّتائم ورشق داود ورجاله، والشّعب الّذي معه والأبطال الملتفّين عن يمينه ويساره بالحجارة وهو يردّد في شتائمه: أخرج، أخرج يا رجل الدّماء، ورجل بليغال لقد رد الرّب عليك كلّ ما سفكته من دماء بيت شاول، الّذي ملكت عوضا عنه، ولقد سلّم الرّب المملكة إلى أيشالوم ابنك وها أنت غارق في شرّ أعمالك، لأنك رجل دماء، وقال أبيشاي ابن صروية للملك: لماذا يشتم هذا الكلب الميّت سيّدي الملك؟ دعني أهجم عليه فأقطع رأسه. فقال الملك: هذا ليس من شأنكم يا بني صروية، دعوه يشتم لأنّ الرّب أمره يشتمني، لعلّ الرّب ينظر إلى مذلّتي، ويكافئني خيرا عوض شتائمه في هذا اليوم.»[2]

2-مسايرة الأنبياء عند مجانبتهم الحقّ وعدم توجيههم إلى سبل الرّشاد: نذكر كمثال على هذا ما حدث مع إبراهيم-عليه السلام- مع ملك مصر، ثمّ ما حدث مع موسى- عليه السلام - حينما غضب ورمى بالألواح.

(1) أنظر الأنبياء في التوراة: منقذ بن حمود السقار، (مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ).

(2) انظر مقال: ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الله تعالى؟ نقلا عن موقع: *www.hurras.org*.

أ-أبرام يكذب ويتكسّب الخير والمال بعرضه، والرّب ينتقم له: جاء في سفر التّكوين:[10:12-20]: «وحدث جوع في الأرض- أي كنعان-، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرّب هناك،... وحدث لمّا قرب أن يدخل لمصر ،قال لساراي امرأته:إنّي قد علم أنّك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون، أنّهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني، ويستبقوك، قولي إنّك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك، فحدث لمّا دخل أبرام إلى مصر، أنّ المصريين رأوا انّ المرأة حسنة جدا،... ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون، فأخذوا المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيرا بسببها، وصار له غنم وبقر، وحمير وعبيد، إماء وأتن، وجمال، فضرب الرّب فرعون وبيته، ضربات عظيمة، بسبب ساراي امرأة ابرام، وقال: ما هذا الّذي صنعت بي، ولماذا لم تخبرني أنّها امرأتك، خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالا، فشيّعوه وامرأته، وكلّ ما كان له.»(1)

إذن فالملاحظ على هذه القصّة أنّ أبرام- عليه السلام -خالف تعاليم الرّبّ في مواقف عدّة؛ في ادّعائه بأنّ زوجته ساراي إنّها هي أخته، خشية منه على حياته من فرعون، وكان الأجدر به أن يخشى الرّبّ خالقه، ثمّ أمره زوجته بالكذب ،والادّعاء بأنّها أخته، ثمّ قبوله بأخذ زوجته لبيت فرعون لتكون زوجة له، ورضاه بالحصول على المال، والخير مقابل ذلك، وفي مقابل كلّ هذا يبقى الرّب ّمسايرا لسقطات أبرام، ولعلّه كان راضيا عنها-تعالى عن ذلك علوّا كبيرا-لأنّه لم يبد أيّ غضب أو حتّى عتاب تجاه أبرام، بل وزيادة على ذلك قام بمعاقبة فرعون الّذي لا ذنب له سوى أنّه تزوّج ممّن كان يظنّها أخت أبرام، وكذا إحسانه إليه**!!**.

ولهذه القصّة أصل في الفكر الإسلامي، لكنّها وردت بتفاصيل مختلفة؛ فحينما أمر إبراهيم -عليه السلام- زوجته بالادّعاء أنّها أخته -وهي أخته في دين الله-، لم يكن خوفا

(1) الأنبياء في القرآن والكتاب المقدّس بين العصمة والازدراء: محمّد عمارة، ص:16. نشر صحيفة المصريون www.almesryoon.com

على نفسه من القتل ولا طمعا بالمال، إنّما كان خشية ضياع الإيمان؛ حيث تقول الرّواية: «بَيْنا هُوَ- إبراهيم عليه السلام- ذَاتَ يَوْمٍ وسارَةُ إذْ أتَى علَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إنَّ هاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ منْ أحْسَنِ النَّاسِ فأرْسَلَ إلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فقَالَ مَنْ هذِهِ قَالَ أُخْتِي فأتَى سارَةَ قَالَ يَا سارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وغيرُكِ وإنَّ هَذَا سألَنِي فأخْبَرْتُهُ أنَّكِ أُخْتِي فَلاَ تُكَذِّبِينِي...»(1)، وكجزاء على هذا العمل الصّالح منهما ،حفظ الله تعالى سارة من ذلك الملك الجبّار، وأخدمها هاجر لتكون فيما بعد أمّ ولد إبراهيم- عليه السلام-.

ب-موسى- عليه السلام- يطرح اللّوحين ويكسرهما والرّب يعيد كتابتهما له: أمّا قصّة موسى- عليه السلام -الّتي يذكرها العهد القديم، ويساير الرّبّ فيها نبيّه رغم مجانبته للحقّ فيها فهي كالآتي «ثمّ أعطى -الله-موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشّهادة؛... لوحي الحجر المكتوبين بأصبع الله» الخروج: [31: 18]، ومع ذلك كسرها موسى غضبا؛ فقد جاء في سفر الخروج: [32:16] «وكان عندما اقترب-موسى-إلى المحلّة، أنّه أبصر العجل والرّقص،... فغضب موسى، وطرح اللّوحين من يديه وكسرهم أسفل الجبل»، ومع ذلك فقد أعاد الرّبّ كتابة لوحين آخرين بأصبعه، حيث ورد في سفر التّثنية: [10: 1-2]: قوله: «وفي ذلك الوقت قال

(1) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: ط: 1: 1422هـ)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿واتّخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (النساء:125)، رقم:3358 ،4/ 140. وصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ. رقم:2371، 4/ 1840.

لي الرّبّ أنحت لك لوحين من حجر مثل الأوّلين، واصعد إلى الجبل، فأكتب على اللّوحين الكلمات التّي كانت على اللّوحين الّلذين كسرتهما.»[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ أصل هذه القصّة صحيح، غير أنّ التّحريف قد طال تفاصيلها، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:150-151]؛ فدلّ «ظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ غَضَبًا عَلَى قَوْمِهِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وخلفا»[2]، وهو أيضا «دَلِيلٌ عَلَى فَظَاعَةِ الْفِعْلِ الَّذِي شَاهَدَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ عَلَى الْفَظَاعَةِ، وَتَشْنِيعٌ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ تَأْدِيبًا لَهُمْ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ تَأْدِيبُهُمْ بِإِلْقَاءِ أَلْوَاحٍ كُتِبَ فِيهَا مَا يُصْلِحُهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَاسِبُ تَصَرُّفَ النُّبُوءَةِ.»[3] وتأكيدا على تأدّب موسى- عليه السلام - مع الله تعالى طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِنَفْسِهِ «فِيمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَضَبِ، ثُمَّ طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِأَخِيهِ فِيمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ تَفْرِيطٍ أَوْ تَسَاهُلٍ فِي رَدْعِ عَبَدَةِ الْعِجْلِ عَنْ ذَلِكَ.»[4]

كما أنّ موسى -عليه السلام-لم يكسر الألواح، كما ورد في العهد القديم، ولا أعاد الله كتابتها له بأصبعيه! ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾[الأعراف:154].

(1) اللهّ جلّ جلاله والأنبياء -عليهم السّلام-في التّوراة والعهد القديم: محمّد علي البار، (دار الشّاميّة: دمشق، ودار القلم: بيروت، ط :1 :1410ه-1990م)، ص: 24.

(2) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2: 1420هـ- 1999 م)، 3/ 477.

(3) التّحرير والتّنوير: ابن عاشور،9/ 115.

(4) المرجع نفسه،9/ 118.

ثانيا: تلاشي معاني الألوهية في علاقة الله تعالى بأنبيائه–عليهم السلام–

من بين أهمّ الميزات الّتي تطغى على علاقة الله–سبحانه وتعالى– مع رسله–عليهم السّلام–في الكتاب المقدّس؛ ميزة اختلال معاني الألوهيّة، ونقض أسسها عند مخاطبته تعالى لرسله، ويبدو ذلك جليّا من خلال ما يأتي:

1–الدّعوة إلى توحيد الله تعالى، ثمّ نقضه (1): ينسب العهد القديم إلى الرّبّ ما مفاده: «أنا الرّبّ إلهك ،الّذي أخرجك من أرض مصر، وخلّصه من بيت العبوديّة، لا تكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك مثالا منحوتا، ولا صورة ممّا في السّماء من فق، وما في الأرض، من تحت الأرض، ولا تسجد لهنّ، ولا تعبدهنّ، لأنّه أنا الرّبّ إلهك إله غيور.» [الخروج:20: 1–6]؛ فالرّبّ من خلال هذا المقال، يأمر نبيّه موسى– عليه السلام –بتوحيد ربوبيّته؛ فهو الّذي أخرجه من مصر، وخلّصه من بيت العبوديّة وكذا بتوحيد ألوهيّته؛ بأن لا يتخذ آلهة أخرى و أن لا يسجد لغيره، وأن لا يصنع تمثالا، ولا صورة، ممّا في السّماء ولا في الأرض. ثمّ في مقام آخر ينقض هذا التّوحيد الخالص؛ في مواطن عدة نذكر منها ما يأتي:

أ–إضفاء سمة الألوهيّة على موسى– عليه السلام – وإعطائه حقّ امتلاك النّبوّة: حيث يضفي الكتاب المقدّس سمة الألوهيّة على موسى– عليه السلام – ويعطيه حقّ امتلاك النّبوّة، أو حقّ انتسابها إليه؛ فقد ورد في سفر الخروج: [7: 1–3] قوله: «فقال الرّبّ لموسى: انظر أنا جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون، نبيّك أنت تتكلّم بكلّ ما آمرك، وهارون أخوك يكلّم فرعون، ليطلق بني إسرائيل من أرضه، ولكنّي أقسّي قلب فرعون، وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر»(2).

(1) عصمة الأنبياء كما يصوّرها الكتاب المقدّس: بكر زكي عوض، نقلا:
www.dahsha.com/olde/viewarticle.php?id=3311
(2) اللهّ جلّ جلاله والأنبياء –عليهم السّلام–في التّوراة والعهد القديم: محمّد علي البار،ص:23.

معلوم أنّ الإله لا يكون إلاّ إلها واحدا، وأنّه الأوحد الّذي يملك القدرة على بعث الأنبياء وإرسالهم ،ثمّ نسبتهم بعد ذلك إليه؛ فكيف يكون موسى- عليه السلام -إلها لفرعون؟ وكيف يكون هارون نبيّا لموسى - عليه السلام -؟، أم أنّ الرّبّ قد أعطى لموسى- عليه السلام- ألوهيّة الأرض، واحتفظ بألوهيّة السّماء؟!.

ب-جعل آدم-عليه السلام -على صورة الله[1] تعالى عن ذلك علوّا كبيرا: معلوم أنّ توحيد الإله يقتضي أن يكون متفرّدا في ذاته ،وكذا في صفاته، وألاّ يكون له أيّ ندّ أو سميّ، أو شريك أو شبيه في ذلك، غير أنّ العهد القديم ينقض هذا الأساس؛ حيث ورد في سفر التكوين:1 قول الرّبّ: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا،... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه.»

ج-نسبة الأنبياء إلى الله تعالى نسبة الأبناء إلى أبيهم: فالملاحظ على أسفار التّوراة المتنوّعة، أنّها ذكرت العديد من الأنبياء، وادّعت أنّهم أبناء الله تعالى[2]، ومن بين أولئك نذكر:

- **يعقوب:** «يقول الرّبّ... إسرائيل ابني البكر أطلقه-أي فرعون-ليعبدني، فإن أبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر» الخروج: [4: 21-23].
- **داود:** «أنا أكون لداود أبا، وهو يكون لي إبنا» صموئيل الثاني:7: 13، كما يقول داود-كما يزعمون-إنّ الرّبّ قال له: «أنت إبني أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثا، وأقاصي الأرض ملكا» المزمور الثّاني[3].
- **أفرايم:** «لأنّي صرت لإسرائيل أبا وأفرايم هو بكري» أرميا:31: 9.

(1) المرجع نفسه، ص:18.

(2) قضية الألوهيّة في الأسفار اليهوديّة: عبد المنعم فؤاد، (مكتبة الثقافة الدّينية: القاهرة، ط: 1: 1425ه-2004م)، ص: 79.

(3) اللهّ جلّ جلاله والأنبياء -عليهم السّلام-في التّوراة والعهد القديم: محمّد علي البار،ص:17.

2-نسبة صفات النّقص لله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا: كذلك ما يميّز علاقة الله تعالى، بأنبيائه- عليهم السّلام -، في الكتاب المقدّس؛ إلحاق صفات النّقص والقبح به تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، وهذا ما يقدح في ألوهيّته؛ إذ المعلوم من الدّين بالضّرورة أنّ الإله متّصف بكافّة صفات الكمال، والجلال والجمال، وأنّه تعالى منزّه عن كافّة صفات القبح والنّقص، ويبدو ذلك جليّا من خلال قصص الأنبياء، والمحادثات التي دارت بينهم، وبين الله تعالى؛ ومن بين تلك الصّفات نذكر:

أ-تجسيد الله وتجزئته تعالى عن ذلك علوّا كبيرا: من بين أهمّ الأمثلة على ذلك نذكر:

أ-1 :آدم- عليه السلام - يسمع صوت مشي الرّب، ويختبئ من وجهه؛ فقد ورد في سفر التّكوين:3:8: «وسمعا -أي آدم وحوّاء-صوت الرّبّ الإله ماشيا في الجنّة، عند هبوب ريح النّهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرّبّ الإله، في وسط شجر الجنّة».

أ-2:يعقوب- عليه السلام -يصارع الرّب طوال اللّيل جسدا لجسد[1]:حيث قال له الرّبّ «أطلقني لأنّه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب، فقال:... بل إسرائيل لأنّك جاهدت مع الله والنّاس وقدرت، وباركه» [التكوين: 2: 29 -32].

أ-3: إبراهيم- عليه السلام - يجالس الرّبّ ويدعوه للأكل والشّرب: فقد ورد في سفر التّكوين:18: 1-17:ما مفاده: «وظهر-أي لإبراهيم-عند بلوطات ممْرا، وهو جالس في باب الخيمة، وقت حرّ النّهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون-أي أنّ الرّبّ تمثّل مع الملكين في صورة رجل تعالى عن ذلك علوّا كبيرا -فلمّا نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيّدي إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك،... ليؤخذ قليل من الماء، واغسلوا أرجلكم، واتّكئوا تحت الشّجرة، فتأخذوا كسرة خبز، فتسندون قلوبكم، ثمّ تجتازون، لأنّكم قد

(1) انظر قضيّة الألوهيّة: عبد المنعم فؤاد، ص:84.

مررتم على عبدكم، فقالوا: هكذا نفعل كما تكلّمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة، وقال لسارة: أسرعي بثلاث كيلات دقيقا، سميدا، اعجني واصنعي خبز ملّة، ثمّ ركض إلى البقر وأخذ عجلا...، وأعطاه لغلام، فأسرع ليعمله، ثمّ أخذ زبدا، ولبنا، والعجل الّذي عمله، ووضعها قدّامهم، وإذ كان هو وقفا لديهم تحت الشّجرة أكلوا، ثمّ قالوا أين سارة امرأتك؟...فسيكون لها ابنا... فضحكت... قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعّم، وسيّدي قد شاخ،... وأنا قد شخت، فقالوا لا يستحيل على الرّبّ شيء أو سيكون لها ابن، ثمّ مشى إبراهيم معهم وشيّعهم»، هكذا إذن يجسّد الكتاب المقدّس الله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، ويجعله في صورة رجل مع ملكين؛ يتعب ويستريح، يأكل ويشرب، ويتحدّث مع إبراهيم- عليه السلام - وزوجته سارة وجها لوجه.

أ-4:موسى- عليه السلام - يرى مؤخّرة الرّبّ[1] تعالى عن ذلك علوّا كبيرا: حيث يقول كاتب سفر الخروج [33:23]: «إنّ الرّبّ قال لموسى- عليه السلام -ثمّ أرفع يدي، فتنظر ورائي، وأمّا وجهي فلا يُرى»؛ فهذا النّص يوحي بأنّ الذّات العليا يمكن تجزئتها، إذ أنّه تعالى سمح لموسى- عليه السلام -بأن يرى وراءه، أما وجهه فلا يجوز أن يرى.»

أ-5: أشعيا يرى الرّبّ جالسا على كرسي: حيث ورد في سفر أشعيا:6: 1-11: قوله «وفي سنة وفاة عزيا الملك، رأيت السّيّد الرّب ّجالسا على كرسيّ عال ، مرتفع، وأذيالا تملأ الهيكل، السّرافيم واقفون فوقه، لكلّ واحد ستّة أجنحة، باثنين يغطّي وجهه، وباثنين يغطّي رجليه، وباثنين يطير، وهذا نادى ذاك، وقال: قدّوس قدّوس، ربّ الجنود ملأ الأرض، فاهتزّت أساسات العتب، من صوت الصّاروخ، وامتلأ البيت دخانا، فقلت: ويل لي إنّي هلكت، لأنّي إنسان نجس الشّفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشّفتين، لأنّ عيني قد رأتا الملك ربّ الجنود، فطار إليّ واحد من

(1) انظر مقال: ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الله تعالى؟

السّرافيم، وبيده جمرة قد أخذها بملقط، ومسّ بها فمي، وقال: إنّ هذه قد مسّت شفتيك، فانتزع إثمك وكفّر عن خطيئتك».

أ-6: إيليا يقف أمام الرّب: فعندما «هرب إيليا من الملك الفاسق، أخاب بن عمرى ملك يهوذا، ذهب إيليا إلى المغارة، فجاءه الرّبّ، وقال له: ما بالك ها هنا يا إليا؟ فقال: إنّي ثرت ثورة للرّبّ إله الجنود، لأنّ بني إسرائيل قد نبذوا عهدك، وقوّضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسّيف، وبيت أنا وحدي، وقد طلبوا روحي ليأخذوه، فقال الرّب: اخرج وقف على الجبل أمام الرّبّ» [سفر الملوك الأوّل:19: 9-15].

ب-إلحاق صفات الضّعف بالله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا عند تعامله مع أنبيائه - عليهم السّلام-:يضفي العهد القديم، عند إيراد حوارات الله تعالى مع أنبيائه- عليهم السّلام، صفة الضّعف والتّذلّل، والخضوع،- تعالى عن ذلك علوّا كبيرا-؛ فتارة ينسب إليه الشّكوى لنبيّه أرميا، وتارة يجعله يرضخ لتهديد موسى- عليه السلام -، وتارة أخرى يجعله نادما على ما فعل، إلى غير ذلك من سمات الضّعف الّتي لا يجوز أن تلحق بالكرام من العباد، فما بالك بربّ العباد ومن بين الأمثلة الظاهرة على ذلك نذكر:

ب-1: الرّبّ يشكو لنبيّه أرميا، ويبثّ له حزنه على أورشليم[1]: فقد جاء في سفر أرميا[14: 17]: «إنّ الرّبّ يقول لنبيّه أرميا: قل لهم هذا الكلام: لتذرف عيناي دموعا ليلا ونهارا، ولا تكفّا أبدا، لأنّ أورشليم، سحقت سحقا عظيما، بضربة أليمة جدّا».

ب-2: الرّبّ يرضخ لتهديد موسى[2]: حيث جاء في سفر الخروج[33: 12]؛ إنّ الرّبّ رضخ لموسى الذي هدّده بأن لا يسير بشعبه، إلّا إذا مشى-أي الرّب-معهم؛ حيث «قال موسى للرّب: ها أنت قلت لي: قد هذا الشّعب، ولكن لم تعلمني من

(1) انظر المرجع السّابق.

(2) انظر مقال: ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الله تعالى؟

سترسل معي، ثمّ قلت: إنّي عرفتك باسمك، وحظيت برضاي، فالآن إن كنت حقّا قد حظيت برضاك، فأرشدني غلى طريقك، لكي اسلك حسب قصدك، وأحظى بمسرّتك، وأذكر أيضا أنّ هذه الأمّة هي شعبك، فأجابه: إنّ حضوري يرافقك فأريحك، فقال موسى: إن لم ترافقنا بحضورك فلا تصعدنا من هنا؛ إذن كيف يمكن أن يدرك بأنّني وشعبك قد حظينا برضاك؟ أليس بمرافقتك لنا؟ فنتميّز أنا وشعبك بذلك عن جميع الشّعوب السّاكنين في الأرض عليهم السّلام، فأجاب الرّبّ موسى: سأفعل عين هذا الأمر، الّذي التمست، لأنّك حظيت برضاي».

ب-3:**الرّبّ يتعبه يعقوب بآثامه**: حيث جاء في سفر أشعيا [34: 24- 25]: «وأنت لم تدعني يا يعقوب،...لكن استخدمتني بخطاياك، وأتعبتني بآثامك».

ب-4:**الرّبّ يشكو لنبيّه صمّوئيل**: حيث ورد في سفر صموئيل الأول[15: 11]: قول الرّبّ «لقد ندمت لأنّي جعلت شاول ملكا، فقد ارتدّعن أتباعي ،ولم يطع أمري».

ب-5:**الرب ذو قدرة ضعيفة اضطرّته للاستعانة بالشّيطان**: حيث ورد في سفر الملوك الأوّل: [22: 19- 22]؛ ما مفاده «... قد رأيت الرّبّ جالسا على كرسيّه، وكلّ جند السّماء وقوف لديه؛ عن يمينه، وعن شماله، فقال الرّبّ: من يغوي آخاب، فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا، وقال هذا هكذا، ثمّ خرج روح الضّلال، ووقف أمام الرّبّ، وقال: أنا أغويه، وسأله الرّبّ: بماذا؟ فقال: أَخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه، فقال :إنّك تغويه وتقدر، فاخرج وافعل هكذا.»

ب-6:**الرّب ذو علم محدود**: حيث يعجز الرّبّ عن تحديد مكان آدم، حينما اختبأ بين الأشجار؛ حيث ورد في سفر التّكوين:3؛ أنّ آدم اختبأ «وامرأته من وجه الرّبّ الإله، في وسط شجر الجنّة، «فنادى الرّبّ الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنّة، فخشيت لأنّي عريان، فاختبأت، فقال: من أعلمك أنّك عريان، هل

أكلت من الشّجرة التي أوصيتك ألّا تأكل منها؟»؛فالملاحظ من خلال هذا النّص أنّ علم الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، يبدو وكأنّه علم محدود فهو:

- يجهل مكان آدم-عليه السلام-؛ حيث قال: أين أنت؟.
- يجهل أنّ آدم-عليه السلام- صار عريان؛ حيث قال: من أعلمك أنّك عريان؟.
- يجهل أنّ آدم-عليه السلام- أكل من تلك الشجرة؛ حيث قال: هل أكلت من الشّجرة التي أوصيتك ألّا تأكل منها؟.

3- إلحاق صفات القبح بالله تعالى عن ذلك علوا كبيرا: ومن بين تلك الصّفات أذكر:

أ-إلحاق صفة الكذب بالله تعالى عن ذلك علوا كبيرا: ويتبيّن ذلك من خلال قصّة آدم وحوّاء، وكذبه عليهما؛ إذ نهاهما عن الأكل من ثمرة تلك الشّجرة ،لئلّا يموتا، وقد فعلا ذلك، لكنّهما بقيا على قيد الحيلة، بل تفتّحت أعينهما، وصارا عارفين للخير والشّرّ؛ فقد جاء في سفر التّكوين:3 أنّ حوّاء قالت للحيّة: «من ثمر الجنّة نأكل، وأمّا ثمر الشّجرة التي في وسط الجنّة فال الله :لا لا تأكلا منه، ولا تمسّاه لئلّا تموتا، فقالت للمرأة-أي الحيّة-:لن تموتا، بل الله عالم أنّه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين بالخير والشّرّ، فرأت المرأة أنّ الشجرة جيّدة للأكل...، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنّهما عريانان.»

ب-الرّب يأمر بالسّرقة(1): يذكر الكتاب المقدّس أنّ الرّبّ يأمر-على لسان موسى-نساء بني إسرائيل بسرقة وسلب نساء المصريين قبل هجرتهم من مصر؛ حيث جاء في سفر الخروج:[3: 22]: «فيكون حينما تمضون أنّكم لا تمضون فارغين، بل

(1) انظر العقائد المشتركة بين اليهود والنّصارى وموقف الإسلام منها: خالد رحّال محمّد الصّلاح، (دار العلوم العربيّة: بيروت-لبنان، دط)، ص:106.

تطلب كلّ امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضّيّة، وأمتعة ذهبية، وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»:

المطلب الثّاني: العلاقة بين الأنبياء-عليهم السّلام- وبين الله تعالى كما يصوّرها العهد القديم

لم يتوان العهد القديم عن تشويه علاقة الأنبياء-عليهم السّلام- بالله -عزّ وجلّ-، فقد تجرأ-كما بينا من قبل- على تشويه صورة الله تعالى و تجريده ممّا يجب عقلا أن يتّصف به عند تعامله مع أنبيائه-عليهم السّلام-، لذلك تجده -أي الكتاب المقدّس- يصفهم بأقذع الصّفات وينسب إليهم أخسّ السّمات وأحطّها، وهو بهذا يناقض ذاته بذاته، فهو يدعو باسم الرّب التزام الطّاعة، ويحثّ عليها قائلا: «إن سمعت سمعا من صوت الرّب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه، الّتي أنا أوصيك بها، اليوم يجعلك إلهك مستعليا على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليك جميع هذه البركات، وتدرك إذا سمعت لصوت الرّب إلهك(التثنية:28)»[1]، ثم يجعل أنبياء الله تعالى، وهم أولى النّاس بطاعته تعالى، في أحطّ درجات الطاعة ، وينصبهم على أحطّ دركات المعصية، حيث يصفهم بـ:

أوّلا- ضعف الإيمان القلبي للأنبياء -عليهم السلام -: فمن بين الأمثلة على هذا ضعف الإيمان القلبي لديهم نذكر:

1- **إبراهيم يكذب بدل أن يلجأ إلى الله تعالى:** فحينما دخل إبراهيم و زوجته إلى مصر، و خشي على نفسه من بطش آل فرعون به، نظرا لجمال زوجته و طمعهم فيها، لم يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والستر، فهذا من سمات الإيمان بالله والإخلاص له بل على عكس ذلك، لجأ إلى الكذب ودعا زوجته إلى الكذب لينجو بنفسه على حساب إيمانه بربه؛ حيث جاء في سفر التّكوين:[12:10-20]: «وحدث جوع في الأرض- أي كنعان-، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرّب هناك،...وحدث لمّا قرب أن يدخل لمصر،

(1) انظر مقال :عصمة الأنبياء كما يصوّرها الكتاب المقدّس: بكر زكي.

قال لساراي امرأته: إنّي قد علم أنّك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون، أنّهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني، ويستبقوك، قولي إنّك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك...».

2-**موسى يجادل الله تعالى**: وفي هذا دلالة واضحة على عدم تقدير الله تعالى حق قدره، وعدم إحلاله وتعظيمه، وبيان هذا أنه جاء في سفر العدد :[11:10] قول «موسى للرّب: لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك، حتى أنّك وضعت جميع هذا الشّعب -أي ثقله -علي؟ ألعلّي حبلت بجميع هذا الشّعب؟ أو لعلّي ولدته فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلا ، إن وجدت نعمة في عينيك، فلا أرى بليتي».

3-**هارون يشرك بالله ويدعو إلى عبادة العجل**: فقد جاء في سفر الخروج:[32: 2-4]،أنّ هارون قال لهم: «انزعوا أقراط الذّهب الّتي في آذان نسائكم، وبنيكم وبناتكم، واتوني بها، فنزع كلّ الشّعب أقراط الذّهب الّتي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيدهم وصوّره «بالازميل»، وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر.»

4- **سليمان مشرك لأجل نسائه**: حيث ورد في سفر الملوك [11: 3-11]، «أنّه في زمن شيخوخة سليمان، أنّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرّبّ، كقلب داود أبيه...؛ فغضب الرّبّ على سليمان، لأنّ قلبه مال عن الرّب إله إسرائيل، الّذي تراءى له مرّتين، وأوصاه في هذا الأمر، أن لا يتّبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرّبّ».

5-**آدم يدافع عن نفسه ويلقي بسبب ذنبه على الرّبّ**: حيث ورد في سفر التّكوين:3: أنّ آدم أجاب الرّبّ قائلا: «المرأة الّتي جعلتها معي هي أعطتني من الشّجرة فأكلت»، وكأنّه لا إرادة له ليرفض أكل ذلك الثّمر، ومعاتبة زوجته على فعلتها. أو كانّ الله هو من جعل تلك المرأة معه، وهي من تسبّبت في معصيته، فلو تركه وحيدا لما أكل منها.

ثانيا: ضعف الإيمان العملي للأنبياء -عليهم السّلام -: من بين الأمثلة غير المعدودة، الّتي تلحق المعاصي، بل والكبائر برسله تعالى نذكر:

1-**نوح يسكر ويلعن**: فقد جاء في سفر التّكوين [9: 25-26] أنّ نوح قد ابتدأ يكون «فلّاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر، فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرّداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، و وجههما إلى الوراء،.. فلمّا استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل ابنه الصّغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد ،يكون لإخوته».

2- **يعقوب سارق البركة من أخيه**: فقد جاء في سفر التّكوين:[27: 27-29]، أنّ إسحاق بارك يعقوب ظنّا منه أنّه عيسو، حيث قال: «رائحة ابني كرائحة حقل فقد باركه الرّبّ فليعطك الله من ندى السّماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك الشّعوب، وتسجد لك القبائل وكن سيّدا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمّك ،ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين».

3-**لوط يزني بابنتيه**: فالكتاب المقدّس يجعل لوطا -عليه السلام- من شاربي الخمر، وأنّه نتيجة لذلك قد زنى بابنتيه دون شعور منه؛ فقد ورد في سفر التكوين: [19: 30] «وصعد لوط من صوغر فسكن في مغارة بالجبل هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ. وليس في الأرض رجل ليدخل علينا. هلمي نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي:، فَتَعَالَيْ نسقيه خمرًا الليلة أيضًا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.»

3- **داود قاتل الأبرياء تقرّبا للملك للمصاهرة: حيث جاء في سفر صموئيل**:1: 18-، أنّ داود «ذهب هو و رجاله وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل لمصاهرة الملك وأتى بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك.»

4- **داود يزني بزوجة جاره ويدبر مؤامرة دنيئة ضده لاغتياله فيها**[1]: فقد جاء في سفر صموئيل الثاني [11: 2]: «قام داود عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السّطح امرأة تستحمّ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا. فأرسل داود وسأل عن المرأة. فقال واحد: أليست هذه بشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحتي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأخبرت داود بذلك فدعا داود زوجها (أوريا الحثي) فأكل أمامه وشرب وأسكره. وفي الصّباح كتب داود مكتوبًا إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه: فيُضرب ويموت. ومات أوريا ... فأرسل داود وضم امرأة أوريا إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنًا[2].»

4-**داود يرقص فرحا حتّى تتكشّف عورته**: يحكي سفر صموئيل عن رقص النّبي داود وتكشّف عورته، هو فرح باسترجاع التّابوت من يد الفلسطينين، وقد استاءت زوجته ميكال من هذا المنظر، واحتقرته لأجله؛ فقد «كان داود يرقص بكلّ قوّته أمام الرّبّ...وقالت -زوجته-: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم، حتّى تتكشّف اليوم في أعين إمائه وعبيده، كما يتكشّف أحد السّفهاء» صموئيل الثّاني: [6-14].

(1) انظر عقيدة الكتاب المقدّس في الأنبياء: عماد المهدي، مقال على موقع: www: hurras.org

(2) ذلك الولد هو سليمان-عليه السلام-.

خاتمة

أوّلا: النّتائج

في ختام هذه الدّراسة يمكننا التّوصّل إلى النتائج الآتية:

- أنّ أظهر دليل على تحريف العهد القديم وأقواه، هو نصّه بذاته.

- فشل العهد القديم في تقديم التّصور الحقيقي المشرق للذّات المقدّسة للعالمين، وكذا بيان المكانة السّامقة الّتي يستحقّها الأنبياء-عليهم السّلام-.

- التّحريف والتّبديل الّذي حواه العهد القديم، إنّما هو انعكاس لتصوّرات اليهود الغارقة والمغالية في المادّية.

- تجريد اليهود أنبياء الله تعالى-عليهم السّلام- من العصمة قبل أو بعد النّبوّة، ووصفهم بأحطّ الصّفات، وأبشع الأفعال وأشنعها ،ناتج عن نفسيّتهم الضّعيفة، وواقعهم المنحرف.

- حقيقة العلاقة بين الله تعالى، وأنبيائه كما يصوّرها العهد القديم ،إنّما هي علاقة مضطربة؛ حيث تجد أنّ الربّ تارة يكرمهم ويشرّفهم بجعلهم بمرتبة الأولاد من أبيهم-وقد كان بعضها على الحقيقة والأخرى مجازا- وكذا بمجالستهم ومحادثتهم، وتارة أخرى يذلّهم ويحتقرهم؛ إذ يأمر بسبّهم وشتمهم، بل إنّه يقوم بمصارعتهم !

- حقيقة العلاقة بين الأنبياء وبين الله تعالى كما يصوّرها العهد القديم ،أنّها علاقة يشوبها التّطاول على الذّات العليّة بالمجادلة واللّوم تارة، وبالعصيان والتّمرّد واقتراف المحرّمات تارة أخرى.

ثانيا: التّوصيات

ينبغي أن تعمّق الدّراسات الخاصّة بالكتاب المقدّس بعهديه؛ القديم والجديد للتّمكّن من معرفة عقائد الدّيانات السّماويّة المختلفة عن الإسلام، وبالتّالي الرّد على ما تثيره من شبهات حول الإسلام.

المصادر والمراجع

1) اللهّ جلّ جلاله والأنبياء -عليهم السّلام-في التّوراة والعهد القديم: محمّد علي البار، (دار الشّاميّة: دمشق، ودار القلم: بيروت، ط :1 :1410ه-1990م).

2) الأنبياء في التوراة :منقذ بن حمود السقار، (مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ).

3) الأنبياء في القرآن والكتاب المقدّس بين العصمة والازدراء: محمّد عمارة، ص:16. نشر صحيفة المصريون *http// www.almesryoon.com*

4) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة-مصر).

5) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2: 1420هـ - 1999 م).

6) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (الدار التونسية للنشر - تونس، ط: 1984 هـ).

7) دراسة في عقائد ومصادر الأديان السّماويّة؛ اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، والاديان الوضعيّة ؛الهندوسيّة والجينيّة والبوذية: طارق خليل السّعدي، (دار العلوم العربيّة للطّباعة: بيروت-لبنان، ط:1: 1425ه-2005م).

8) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة :ط: 1: 1422هـ).

9) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان).

10) عقائد أهل الكتاب؛ دراسة في نصوص العهدين: أحمد مختار رمزي، (دار الفتح لدّراسات والنّشر:عمان-الأردن،ط:1428ه-2008م).

11) عقيدة الكتاب المقدّس في الأنبياء: عماد المهدي، مقال على موقع: www: hurras.org

12) عصمة الأنبياء كما يصوّرها الكتاب المقدّس: بكر زكي عوض، نقلا:www.dahsha.com/olde/viewarticle.php?id=33119

13) العقائد المشتركة بين اليهود والنّصارى وموقف الإسلام منها: خالد رحّال محمّد الصّلاح، (دار العلوم العربيّة: بيروت-لبنان، دط).

14) الكتاب المقدّس: جمعيات الكتاب المقدّس في الشّرق الأدنى، (ساحة النجمة:بيروت-لبنان،ط:1971).

15) قضية الألوهيّة في الأسفار اليهوديّة: عبد المنعم فؤاد، (مكتبة الثقافة الدّينية: القاهرة، ط:1: 1425ه-2004م).

16) محمّد نبيّ الإسلام في التّوراة والإنجيل والقرآن: محمّد عزّت إسماعيل الطّهطاوي،(مطبعة التّقدّم، دط).

17) مقال: ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الله تعالى؟ نقلا عن موقع: www.hurras.org